

بيان صحيح الاقاويل

في

تفسير آية بني إسرائيل

...

لابي الفضل

الحافظ عبد الله بن محمد بن الصديق

غفر الله له

...



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا
 محمد وآله الأكرمين ، وبعد فإن بعض المصنفين فسروا
 آية بني إسرائيل بما هو بعيد عن معناها ، ولا يجوز
 أن ينسب إلى أنه المراد منها ، بل هو من يدع للتفسير
 لئني يجب اجتنابها ، ونزبه كلام الله عنها .

ولذلك كتبت هذا الجزء لبيان تفسير الآية تفسيراً
 صحيحاً موافقاً لما دللت عليه ، ومطابقاً لما أخبرت عنه ،
 حسبما ذكره المفسرون من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ،
 والله الموفق والهادي ، وعليه اعتمادي .

قال الله تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب
 لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ، فإذا جاء
 وعد أولاهما بعثنا عليكم عاداً لنأولى بأس شديد
 فجالسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولاً ، ثم ردنا لكم
 النكرة عليهم وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر
 نفيراً ، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها
 فإذا جاء وعد الآخرة ليسوفوا وجوكم وليدخلوا المسجد
 كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى
 ربكم أن يرجمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين
 حصيراً) .

قوله تعالى : (لتفسدن في الأرض مرتين) عن
عطية السوفى قال : افسدوا المرة الاولى ، فبعث الله
عليهم جالوت فقتلهم ، و افسدوا للمرة الثانية ، فقتلوا
يحيى بن زكريا عليهما السلام ، فبعث الله عليهم
بختنصر ، اخرج ابن ابي حاتم .

وقال ابن عباس : بعث الله عليهم في الاولى
جالوت ، فحاس حلال ديارهم وضرب عليهم الخراج والذل
فسألوا الله أن يبعث اليهم ملكا يقاتلون في سبيل الله ،
فبعث الله طالوت ، فقتل جالوت ، ففصر بنو اسرائيل ،
وقتل جالوت بيدي داود عليه السلام . ورجع الى بني
اسرائيل ملكهم ، فلما افسدوا بعث الله عليهم في المرة
الآخرة بختنصر ، فحرب المسجد ونبر ما علوا تنبيرا ،
قال الله بعد الاولى والآخرة (محسى وبكم أن يرحمكم
وإن عدتم عدنا) قال : فماتوا فسلط الله عليهم
المؤمنين . رواه ، ابن جرير في تفسيره .

وقال قتادة : اما المرة الاولى ، فسلط عليهم جالوت
حتى بعث طالوت ملكا ومعه داود فعليه داود ثم رد
لكرة لبني اسرائيل (وجعلناكم لكثر نفيرا) أي عددا
(فإذا جاء وعد الآخرة) أخر للمؤمنين (ليسوا
وجوهكم) قال ليصبحوا وجوهكم (وليدخلوا المسجد
كما دخلوه أول مرة) قال كما دخل عدوهم قبل ذلك
(وليتبروا ما علوا تنبيرا) قال : يدمروا ما علوا

تحميرا ، فبحث الله عليهم في الآخرة باختصار ، الميلالي
المجوسي أبغض خلق الله اليه ، فسبى وقتل وخرب
بيت المقدس وسامهم سوء العقاب ، رواه ابن جرير ،
وقال ابن زيد في الآية : كانت الآخرة أشد من الأولى
بكثير ، فإن الأولى كانت هزيمة فقط والآخرة كانت تحميرا ،
وحرق يختصر الثروة حتى لم يترك فيها حرفا واحدا
وخرب بيت المقدس ، رواه ابن جرير .

وقال الصحاك في قوله تعالى (عسى ويحكم أن
يرحمكم) كانت الرحمة التي وعدهم . بحث محمد صلى
الله عليه وآله وسلم رواه ابن أبي حاتم في تفسيره .

وقال قتادة : (وإن عظم عشنا) فسادوا غيبت الله
عليهم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم منهم يعطون الجزية ،
رواه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما .

وكذا قال المفسرون : أن المرتين وثقتا قبل البشارة
المحمدية لم يختلفوا في ذلك . وإنما اختلفوا فيمن
سلط عليهم بسبب الأسا من ، ونقل كلامهم بطول ،
فلمنظوره من أوله في كتب التفسير الآتية : تفسير ابن
جرير ، وابن عطية والزمخشري ، والقرطبي والبيضاوي
والنسفي ، وأبي حيان وابن جزى وأبي السعود والسيوطي
والجلالين وحاشية الجمل على الجلالين ، وأثرت أن
انقل كلام شيخنا ، بالاجازة للعلامة للشيخ محمد الطاهر بن

عاشور في تفسيره قال رحمه الله ، وللقضاء بمعنى الحكم وهو التقدير ، ومعنى كونه في الكتاب ان القضاء ذكر في الكتاب والمراد بالكتاب التوراة ، والتعريف للمهد ، لانه ذكر أنباء ، ويجوز ان يكون الكتاب بمعنى كتبهم الدينية ، فتعريف الكتاب تعريف الجنس . وهو الاسفار المسماة بكتب الانبياء : اشعيا ، ورميا ، وحزقيال ، وداود ، وهي في الدرجة الثانية من التوراة . وكذلك كتاب النبي ملاخي والامسار مرتين ذكر في كتاب اشعيا وكتاب رميا ، واولى المرتين مذكورة في كتاب رميا في الاصحاح الثاني والاصحاح الحادي والعشرين وغيرهما . ويجوز ان يكون المراد بالكتاب التوراة وكتب الانبياء ، ولذلك ايضا وقع الاظهار دون الاضمار وجملة لتفستق في الارض مرتين الى قوله حصيرا ، مبينة لجملة ونضجتا الى بني اسرائيل في الكتاب ، وهذه الآية تشير الى حوادث عظيمة ، بين بني اسرائيل واعدائهم من امنين عظيمين ، حوادث بينهم وبين البابليين وحوادث بينهم وبين الرومانيين . فانقسمت بهذا الاعتبار الى نوعين ، نوع منهما تدرج فيه حوادثهم مع البابليين ، والنوع الآخر حوادثهم مع الرومانيين ، فمير عن النوعين يمرتين ، لان كل مرة منهما تحقوي على عدة ملاحم +

فالمرّة الاولى هي مجموعة حوادث متسلسلة تسمى في التاريخ بالاسر البابلي ، وهي غزوات

بختنصر ملك بابل وانتور لبلاد اورشليم ، والغزو الاول كان سنة 606 (٦٠٦) قبل للمسيح ، اسر جماعات كثيرة من اليهود ويسمى الاسر الاول ، ثم غزاهم ايضا غزوا يسمى الاسر الثاني ، وهو اعظم من الاول كان سنة 5٠٨ (508) قبل المسيح ، واسر ملك يهوذا وجما غفيرا من الاسرائيليين واخذ الذهب الذي في هيكل سليمان ، وما فيه من الأنية للتغيسة .

والاسر الثالث لصير سنة 588 (٥٨٨) قبل المسيح . غزاهم بختنصر وسبي كل شعب يهوذا واحرق هيكل سليمان وبقيت اورشليم خرابا يباب ، ثم اعادوا تعميرها كما سيأتي ، (ثم رجعا لكم الكرة عليهم وامددناكم بأهوال وبنيين وجعلناكم أكثر نفيرا ، ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها) تم نفيد القراخي الرتبسي والقراخي للزمني معا ، وللكرة الترجمة الى المكان الذي ذهب منه ، وذلك ان بني اسرائيل بعد ان قضوا نيفا واربعين سنة في اسر البابليين ، وناجوا الى الله سلط الله ملوك فارس على ملوك بابل الاشوريين .

فان للهلك كورش (1) ملك فارس حارب البابليين وهزمهم فضمهم سلطانهم ، ثم نزل بهم داريوس ملك فارس وفتح بابل سنة 538 (٥٣٨) قبل للمسيح ،

(1) هو ذو القرنين . ويمال له غوروش

وافن لليهود في سنة 530 (٥٣٠) قبل للمسيح ، أن يرجعوا الى اورشليم ويحفظوا دولتهم ، وذلك نصر انتصروه على البابليين اذ كانوا ، اعوانا للفرس عليهم ، وللوعد بهذا النصر ، ورد ايضا في كتاب اشعيا . في الاصحاح العاشرة والحادي عشر والثاني عشر وغيرها ، وفي كتاب ارميا ، في الاصحاح الثامن والعشرين والتاسع والعشرين ، وقوله : (**وامتحنكم باموال وبنين وجعتكم اكثر نفيرا**) وهو من جملة المقضى للموعود به ، ووقع في الاصحاح التاسع والعشرين من كتاب ارميا ، هكذا قال الرب لله بـسي اسرائيل لكل السبي الذي سبيته من اورشليم الى بابل لبـنوا بـيونوا واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها ، خذوا نساء ولسدوا بنين وبنات واكثروا هناك ولا تقلوا ، وقوله : (**ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم قلها**) من جملة المقضى في الكتاب ، وهو حكاية لما في الاصحاح التاسع والعشرين من كتاب ارميا ، وطلبوا لاجلها الى الرب لانه بسلامها يكون لكم السلام ، وفي الاصحاح الحادي والثلاثين : يقول الرب ازرع بيت اسرائيل وبيت يهوذا ، ويكون كما سهرت عليهم للاقتلاع والهدم والقرض والاهلاك ، كذلك اسهر عليهم للبناء وللغرس في تلك الايام ، لا يقولون : الاياه اكلوا حصرما ، واسنان الابناء ضرسيت بل كل واحد يموت بذنبه ، كل انسان ياكل للحصرم تضرس اسنانه .

ومعنى « ان احسنتم احسنتم لانفسكم » : اننا نرد لكم
لكرة لاجل التوبة ، وتجسد للجيل ، وقد اصبحت في حالة
نعمة . فان احسنتم كان جزاؤكم حسنا . وان اساتم ،
اساتم لانفسكم . فكما املكنا من قبلكم بخنوبهم ، فقد
احسنا اليكم بتوبيتكم فاحسنوا الاساءة كي لا تصيروا
الى مصير من قبلكم .

(فلما جاء وعد الاخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا
المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا
عسى ويكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم
للكافرين حصيرا) ، هذا الكلام من بنية ما قضى في الكتاب
بدايل تفريجه بالفاء . والاخرة ضد الاولى . ولم يعدم
الله في هذه المرة الا بنوقح للرحمة ، دون رد الكرة .
فكان ليماء الى انهم لا ملك لهم بعد هذه المرة . وبهذا
يتبين ان المشار اليه بهذه المرة الاخرة . هو ما اقترفته
اليهود من المعاصد والتمرد ومنل الانبياء والصالحين
والاعتداء على عيسى واتباعه . وقد انخرع للنبي ملاحى
في الاصحاحين الثالث والرابع من كتابه . وانخرع زكريا
ويحيى وعيسى عليهم السلام . فلم يزعروا مضربهم
الله الضربة الماضية ببسد الرومان .

وبيان ذلك : ان اليهود بعد ان عادوا الى اورشليم ،
وجدوا ملكهم ومسجدهم في زمن داربوس . واطلق لهم
التصرف في بلادهم التي عليهم عليها البابليون . وكانوا

تحت نفوذ مملكة فارس فمكثوا على ذلك مائتي سنة من سنة 530 (٥٣٠) الى سنة 330 (٣٣٠) قبل المسيح ، ثم اخذ ملكهم في الانحلال ويجوم لبطالسة ملوك مصر على اورشليم ، فصاروا تحت سلطانهم الى سنة 166 (١٦٦) قبل المسيح ، اذ قام قائد من بني اسرائيل اسمه ميثيا ، وكان من اللاويين فانتصر لليهود وبولى الامر عليهم ، وتسلسل الملك بعده في ابناؤه في زمن ملئ بالفتن الى سنة اربعين قبل المسيح ، دخلت المملكة تحت نفوذ الرومانيين واقاموا عليها امراء من اليهود كان أشهرهم هيرودى تم تصردوا للخروج على الرومانيين ، فأرسل فيصير روعيه القائد سيبيا نوس مع ابنه القائد طيطوس ، بالجيوش في حدود سنة اربعين بعد المسيح ، فحزبت اورشليم واحترق المسجد ، واسر طيطوس فيها وتسلمين النبا من اليهود وقتل من اليهود في تلك الحروب نحو ألف الف ، ثم استعادوا المدينة ، وبقي منهم شريحة قليلة بها الى ان رافاهم الامبراطور الروماني تربيانوس قهدصها وخربها ورمى مناطقير الملح على أرضها كي لا تعود هالحة للزراعة ، وذلك سنة 135 (١٣٥) للمسيح ، وبذلك انتهى أمر اليهود وانقرض ، وتفرقوا في الارض ، ولم تخرج اورشليم من حكم الرومان الا حين فتحها المسلمون في زمن عمر بن الخطاب سنة 16 هجرية ، صلحا مع

أهلها ، وهي تسمى يومئذ أبلينا ، أم ملخصا ، وإنما
أشركه على غيره من التفسير لأنه حرر الكلام على المرتين ،
وما ترتب عليها . بها نقله عن كتب أنبياء بني
إسرائيل وهي موافقة لمعنى الآية ، وموضحة لما فيها من
بيان تاريخ المرتين . بما لا يدع مجالا للشك ، في أن
ما قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب ، قد حصل قيل ظهور
الإسلام بمدة لا تقل عن ثلاثمائة سنة .

إذا علم هذا ، فأتى بعض المعاصرين الآن لتفسير
الافساد مرتين باحتلال اليهود لفلسطين ، وحربهم للعرب ،
خطا واضح ، وقد رابت رساله للدكتور السيد إدريس
الكناني سما : للعرب نحت وطأة الافساد الاول لبني
إسرائيل ، خطا للمفسرين فيما ذهبوا إليه ، وزعم أن
الآية تشير إلى حالة اليهود اليوم ، وأن هذا من أعجاز
القرآن ، ويؤهم أن الافساد الثاني سيأتي طال الزمان
أو قصر ، فيه يمسر المسلمون وأقول : أعجاز القرآن
نابت بالأدلة العقلية والنقلية ، ولا حاجة إلى اثباته
بهذه الآية ، وقد أبدى كثير من الناس أراء فجة في بعض
الآيات ، وزعموها من أعجاز القرآن ، مع أن القرآن غني
عن مراعاتهم ، ودعوى أن المسلمين ، سينتصرون بمدة
الافساد الثاني ، مجرد أصل دعور بخلد قائله ، وليس
في الأمة إشارة إليه .

ورغم ما أبداه السيد إدريس الكناني لتأييد رأيه ، فإنه
باطل وبيان بطلانه من وجوه .

الاول : ان الله تعالى خبر لليهود بما قضى اليهم في الكتاب حين كان دينهم صحيحا ، وشريعتهم قائمة ،
لهم سيخالفونها بانفسادهم . ويعاقبهم بتسليط اعداء
لهم ، ليس لهم دين .

الثاني : ان الله تعالى احبر عنهم انهم قتلوا الانبياء ،
والصالحين وهذا اعظم الازساد ، بلا شك . وفي الحديث
الصحيح : « لسزوال الدنيا اهون على الله من قتل رجل
مسلم » فكيف يقتل الانبياء والصالحين ؟ !!!

الثالث : ان انبياء بني اسرائيل انفروهم بانفسادهم
الذي حصل مرتين ، وبالعقوبة عليهما ، وهذا الانذار الذي
وقع من الانبياء كان بوحى الهى ...

الرابع : ان الله قال لهم عقب المرة الاولى (ان احصيتكم
احصيتكم لانفسكم) وهذا دليل على انهم كانوا حينئذ
متمسكين بدين صحيح . وهم الآن كفار مفضوب عليهم .
لا يتصور منهم احسان عمل . ولو امكن وقوعه ، لا يقبل منهم .

الخامس ان الله تعالى ترحى لهم للرحمة عقب المرة
الاخرة بقوله (عسى ربكم ان يرحمكم) . وهذا يدل
على انهم كانوا لاذ ذلك على امل ان تتألمهم رحمته لله
تعالى . لتمسكهم بدين موسى عليه السلام . اما الان فلا يمكن
ولا يجوز ان يتوجه هذا الخطاب اليهم لانهم كفار آيسون
من الرحمة ، على ان الضحاك قال في تفسيره هذه الاية :

كانت للرحمة التي وعدهم . بميث محمد صلى الله عليه
واله وسلم . رواء ابن ابي حاتم في تفسيره .

السادس : قول الله تعالى لهم في المرة الاخيرة (وان
عذبتكم عذبا) ينبغي انهم ان عادوا مرة ثالثة . يعاقبهم
الله .

قال قتادة . فعادوا . فبعث الله عليهم محمدا صلى
الله عليه واله وسلم بهم معطون الجزية . رواء ابن
جرير وابن ابي حاتم في تفسيريهما .

السابع : ان الامساد حصل عن بني اسرائيل
وعوقبوا عليه وسجله التاريخ . ولتذلات انبيائهم .
فكيف يزعم زاعمون ان الامساد المذكور في الآية لم يحصل
الا في هذا العصر . : جراءة غريبة لم يسبق لها نظير .

الثامن : ان قول الله تعالى (بعثنا عليكم عبادا لنا)
لا يعيد انهم مسلمون . لان الخلق كلهم عباد لله .

قال تعالى : (ان الذين تدعون من دون الله عباد
امثالكم) وقال (ان تعذبهم فاعذبهم عبادك) . قل من حرم
ؤينة الله التي اخرج لعباده . . لا تخشون من عبادك
نصيبيا مفروضا . . وهو القاهر فوق عباده . . ذلك
يهدي الله يهدي به من يشاء من عباده . . ان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده) والآيات في هذا كثيرة .

التاسع : ان الله تعالى اعطى لامتنا المحمدية لسما

خاصا بها ، فقال سبحانه (هَلْ أَدْرِيكُمْ أِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا) الْآيَةُ .

قال ابن عباس (هو سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ) لِلَّهِ عِزُّ وَجَلَّ سَمَّاكُمُ . وعن مجاهد (هو سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ) قال الله عِزُّ وَجَلَّ سَمَّاكُمُ مِنْ قَبْلِ فِي الْكِتَابِ كُلِّهَا وَفِي الذِّكْرِ وَفِي هَذَا قَالَ - الْقُرْآنُ .

وعن سفيان (هو سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ) قَالَ اللَّهُ عِزُّ وَجَلَّ (مِنْ قَبْلِ) قَالَ : فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ (وَفِي هَذَا) قَالَ : الْقُرْآنُ . وعن ابن زيد فِي الْآيَةِ قَالَ : لَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانَ غَيْرَ هَذِهِ الْآيَةِ . ذَكَرَتْ بِهِمَا جَمِيعًا ، وَلَمْ يَسْمَعْ بِأَمَةٍ ذَكَرَتْ بِالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانَ غَيْرَهَا وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَيْبَةَ فِي الْمَحْصَفِ وَاسْحَقُ بْنُ رَافِعٍ فِي مَسْنَدِهِ عَنْ مَكْحُولٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « تَسْمَى اللَّهُ بِاسْمَيْنِ سَمِيَ بِهِمَا أَهْلِي ، هُوَ السَّلَامُ وَسَمِيَ أَهْلِي الْمُسْلِمِينَ ، وَهُوَ الْمُؤْمِنُ وَسَمِيَ أَهْلِي الْمُؤْمِنِينَ » .

فَالْآيَةُ وَالْحَدِيثُ وَالْأَنْبَاءُ الْمَذْكُورَةُ أَتَتْ قَاطِعَةً فِي أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : (بَعَثْنَا نَبِيًّا قَبْلًا لَنَا) لَمْ يَرُدَّ بِهِ الْمُسْلِمِينَ . وَلَمَّا أَرَادَ قَوْمًا حَارِبُوا إِسْرَائِيلَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ .

الْعَاقِبَةُ : أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى (أَلَمْ نَرْسِلْكَ بِاللَّهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ بَعَثَ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَهْمَ لَنَا أَمْ لَكُمْ تَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) الْآيَةُ إِلَى قَوْلِهِ (وَقَدْ

أخرجنا من ديارنا ، وإبنائنا) صريح في أن بني اسرائيل غلبوا على امرهم . وأخرجوا من ديارهم وإبنائهم ، بسبب حرب جالوت رئيس العمالقة لهم ، حتى طلبوا تعيين ملك لهم يقاتلون معه أعداءهم . فلتكن هذه إحدى المراتب التي أعاد الله لهم فيها الملك وجعل داود عليه السلام ملكا عليهم . ولا نجزم بذلك وإن قال به كثير من المفسرين ولكنه احتمال قائم .

الحادي عشر : قول الله تعالى : (وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة) لا يدل على أنهم مسلمون . لوجهين :

الأول : أن لفظ المسجد ، ترجمة عما يسمى عندهم بالكنيسة لأن اللغة العبرية ركيزة ، والقرآن العظيم منزله عن الركيزة في جملة والفاظه ، والمحراب لفظ عربي . والكنيسة وإن كانت مصرية ، ثقيلة في السمع وليس في اللفظ القرآن مثل ، إلا تراهم عبر في قوله تعالى (فقد صفت قلوبكما) بالجمع ولم ينل قلبكما ، لأن للتثنية ثقيلة ، والجمع أخف منها ، وعبر بالجمع في أولى الآيات دون السلب لثقله في السمع .

الثاني : أن بيت المقدس ، بناء يعقوب عليه السلام ، بعد بناء جده ابراهيم عليه السلام للبيت الحرام بأربعين عاما ثم جدد بناء سليمان عليه السلام . وكان اسمه

منذ بنائه بيت المقدس أو المسجد ، وتسميته ميكلا ،
اسم حادث عند اليهود بمد تجديده .

الثاني عشر : التعبير بالاستقبال في قوله تعالى :
(فلما جاء وعد اولاهما) هو الحقيقة والواقع . لان الله
تعالى اخبر انه قضى ذلك في النوراة ، وبين نزولها
ووقوع ذلك من بني اسرائيل مدة طويلة . تسمى
مستقبلا حقيقة لا مجازا ، فكيف تلغى تلك المدة
لطويلة التي تزيد على الف سنة ، ويعتبر الاستقبال
ما حصل الآن ؟ هذا فحمل وتكلف شديدان يردهما معنى
الاستقبال في اللفظ ولما نزلت سورة (اذا جاء نصر الله)
في حجة الوداع . قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
« نعيث الى نفسي » وسمى بعدما بمدة لا تزيد على
سنتين ، فكان الاستقبال الذي افادته اذا ، حقيقة .

الثالث عشر : حديث الصحاح « نقاتلكم اليهود ،
فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي
ورائي فافتك » يعيد عن آية بني اسرائيل بعد الضرب
من النون . وانما هو من الاخبار عن الحوادث التي تقع
قرب قيم الساعة . وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا تقوم الساعة
حتى تقاتلوا قوما نعالهم للشعر وحتى تقتلوا الترك
صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كان وجوههم
المجان المطرقة » وفيه ايضا « لا تقوم حتى تقتلوا خوزا

وكرهان من الاعاجم ، وحديث قتال الترك ، ترجم عليه البخاري . باب قتال الترك . وهو في كتاب الجهاد .

وحديث مقاتلة اليهود ، ترجم عليه البخاري : باب قتال اليهود وذكره أيضا في باب علامات النبوة ، ورواه مسلم في كتاب الفتن ، قال الحافظ في فضح الباري ما نصه : في روايه أحمد من طريق أخرى عن سالم عن أبيه « يقول الدجال هذه السبخة - أي خارج المدينة - ثم يسلط الله عليه المسلمين فيقتلون شيعته حتى أن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة والحجر فيقول الحجر والشجرة هذا يهودي فقتلته » .

وعلى هذا فالمراد وقوع ذلك إذا خرج للدجال ونزل عيسى . وكما وقع صريحا في حديث أبي أمامة ، في قصة خروج الدجال ونزول عيسى ، ومبه : « وراء الدجال سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلي فيدركه عيسى عند باب لد فيقتله وينهزم اليهود فلا يبقى شيء مما يتواري به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء فقتل يا عبيد الله المسلم ، هذا يهودي فتعال فقتله ، إلا الفرقد فانها من شجرهم » أخرجه ابن ماجه مطولا ، وأصله عند أبي داود ونحوه في حديث سمرة عند أحمد بإسناد حسن . وأخرجه ابن منده في كتاب الايمان من حديث حذيفة بإسناد صحيح اهـ . كلام الحافظ وأي علاقة بين حديث الدجال وبين آية مني ارائيل ؟ !!

وبعد فقد توقفت مدة في هذا التفسير للمبتدع ، بل
توقفت في معنى الآية الكريمة نفسها . ولم يظهر لي
وجه تفسيرها ، وسألت مرة عنها ، فقلت : لم يظهر
لي وجهها ، ولم أفهمها .

ثم بعد تأمل ولعمان نظر ، تبين لي بوضوح
معنى الآية كما فسرها به علماء التفسير ، وتبين لي
أيضا أن التفسير الذي ذكره المعاصرون مثل الشيخ عبد
الرحيم فوده والشيخ منولى الشعراوي والشيخ عبد الحصيد
واكد والاستاذ سيد قطب والسيد ادريس الكتاني ،
باطل جملة وتفصيلا ، وأن لصاقه بالآية للكريمة تحريف
لمعناها ، وعدوان على كلام الله سبحانه وتعالى .

ووجهتهم غفلوا عن أمرهم لو تنبهوا له ، لما
صدر عنهم ذلك للتفسير الباطل ، ولما كتب السيد ادريس
الكتاني رسالته التي سماها : العرب تحت وطأة الانسداد
الاول لبني اسرائيل ، وايضاح ذلك : ان موسى عليه
السلام ، حين بعثه الله الى بني اسرائيل ، كانت الوثنية
غالبة على المنطقة التي بعث فيها من البابليين والفرس
للكنعانيين ، والعماليقة والبطالسة ، ولم يكن فيهم من
يعبد الله ويوحده ، بل كانوا مجوسا وعباد الكواكب ،
فلما عرف بنو اسرائيل للتوحيد الذي جاء به رسولهم ،
وعبدوا الله كما في شريعتهم ، أظهر الله عنايته بهم
وأول ذلك أنه فضلهم على ذلك العالم الوثني ، وهو معنى

قوله تعالى : (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين ١) . ومن عنايته بهم انه انزل عليهم التوراه . فيها احكام وتنزيهات . تتناسب مع ظروفهم ومجتمعهم . وزاد في تكريمهم . لاجل كلمه عليه السلام . ووالى عليهم بميث الانبياء منهم في كل جيل يرشدونهم ويهدونهم الطريق القويم . ولما يخلص الله من خبث طينتهم وفساد طوبيتهم انذروهم في التوراه وفي كتب الانبياء بعدها بما يحصل من المخالعات لهم وبعقابهم عليها .

ومن جمله ما انذروهم به ما ذكره الله تعالى في قوله سبحانه (وقضينا الي بني اسرائيل في الكتاب لتفحصن في الارض هرتين) الآية . وكان عنايتهم عليهما ان يمت عليهم اعداء . وتنبئين لايعترفون لله . ولا يخافون عذابه . ولذلك قال (بعثنا عليكم عبادا لنا) فنكر عبادا . تقليلا لثمتهم . وتحقيرا لهم . ولم يكن تنكروهم . لاهل انهم مؤمنون كما قبل .

(١) ومن هنا نشأت عند اليهود عقيدة انهم شعب الله المختار وهي خطأ . لان الله لم يفضل جنسا او شخصا لذاته وانما فضله ما عده من الطاعة والاستقامة . قال تعالى (لن اكرهكم عند الله انقلكم) وقال سبحانه (ليس بآهاتيك ولا امانتي اهل الكتاب من يعمل سواا يجز به) (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه . قل فلم يعذبكم بقنوبكم بل انتم بشر ممن خلق) .

واستمر حال اليهود ، وهم على شريعة موسى عليه السلام ، مدة تزيد على ألفي سنة ، حصل فيها الانسدادان المذكوران في الآية ، وغيرهما .

فلما جاء الاسلام ، وبعث النبي عليه الصلاة والسلام ، حسدوه واظهروا عداوته ، وحاولوا قتله مرتين ، وتراخوا مع قريش على محاربتة في غزوة الخندق ، فلما اظهروا الكفر الصريح ، والعدا القبيح ، تخلى الله عنهم ، بل غضب عليهم ولعنهم ، وانزل في فهم عدة آيات .

منها : قوله تعالى (لتجدن اشد للناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا) .

وقوله سبحانه : (وقالت لليهود يد الله مقلوبة غلت ايديهم ولعنوا بها قالوا) .

وقوله جل شانه (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وقد نعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية في قتال يهود خيبر والنجاشي وفريقته ، وصح في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير (غير المقضوب عليهم) قال : « هم اليهود » .

وجاء فهم أيضا في سورة البقرة والاحزاب والحشر ، والجمعة وغيرهما .

فصار اليهود بعد نسخ دينهم ، وكفرهم بالاسلام ، طائفة من الكفار مثل المجوس والمشركيين ، بل هم ايقض الى الله من جميع انواع الكفرة ، لايبالي بهم بالة ، فلا يعقل ولا يجوز ان يقول لهم في هذا الوقت (ان احسنتم احسنتم لانفسكم) لانهم بعد كفرهم لا احسان لهم ولا حسنة ، ولا يجوز ان يقول لهم (عسى ويحكم ان يرحمكم) لانهم لا رحمة تلحقهم ، وغلبتهم على بيت المقدس وفلسطين ، سببها ضعف العرب والمسلمين ، وتفرغهم واستئناهم بشهواتهم ومصالحهم الشخصية ، فلا يجوز ان نتملص من هذه الكارثة للقى طلت بها لضقتا وتفرقتا وترك ساليم ديننا ، ثم نلقى قبيعتها على ان القرآن اخبر بها ، هذا لا يجوز ابدا والقرآن يري مما ينسب لله براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، فيجب على العرب والمسلمين ان يجتهدوا في تخليص القدس من اليهود لعنهم الله ، وينبذوا من عقولهم وثلوبهم الاماني الفارغة والتفسيرات الملتصقة بالقرآن زورا وكذبا ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

خاتمة

منذ فتح الشام في عهد عمر رضي الله عنه ،
لم يكن لليهود دولة في فلسطين . بل كانوا يعيشون فيها أقلية ،
تحت ذمة للمسلمين ، وكانوا متفرقين في بقاع الأرض ،
وفي القرن الثامن عشر بدأت محاولتهم لامتلاك فلسطين
والسيطرة عليها . فحاطبوا للسلطان عبد الحميد في تلك
واغروه بالمال . فلم يقبل منهم رحمه الله وقال لهم :
فلسطين بلد المسلمين ، لا املك للتصرف فيها بشيء ،
فحاولوا اسقاطه باطلاق دعايات كاذبة في الصحف
والمجلات ، وأحدثوا الاضطرابات في تركيا واليونان
وغيرهما ضد حكمه ، وضد الخلافة من أصلها ، واتساق
معهم المفلولون من العرب والمسلمين ، وقامت للحرب
العالمية الاولى . فوجدت بريطانيا عدوه الله وعدوه
المسلمين للفرصة سانحة لاستقاط الخلافة الاسلامية ،
فأثارت شعوب مصر والشام والعراق والحجاز على تركيا ،
وأعدت لهم بالاستقلال بعد انتهاء الحرب ، وطليت من
الإمام يحيى أن يتور على تركيا أيضا ويحاربها ، فامنع
من ذلك وقال لها : لا تحارب المسلمين . فكان هذا منه
موقف اسلاميا متربعا ، عرضه له المسلمون بالاعجاب
والتقدير . وانتمى هديفنا الادييب العاقل الاساذ الشيخ
مصطفى جو عشرين رحمه الله قصيدة في التنباء على
الإمام والانتادة بفضله . جاء في مطلعها .

هكذا هكذا يكون اللوغا. فلنعمل الاعمال خدي وطه

وعقب انتهاء الحرب مباشرة سنة 1918 اخذ اليهود من وزير خارجية بريطانيا واسمه بلفور ، وعدا باعطائهم وطنيا قوميا في فلسطين ، ولما استقرت الحال بعد الحرب نكثت بريطانيا بوعدا للعرب ، فاعلنت تمسكها بالحماية على مصر . واحتلت للمراق وتسمت للشام الى اربع دويلات اعطت منها سوريا ولبنان لفرنسا ، واحتفظت بفلسطين عندها لتسلمها لليهود . وحطت في الارض الامير عبد الله ابن حسين شريف مكة . وسبقتها اماره الاردن . وهي اليوم مملكة ما اظنها تبلغ مليون نسمة. وعرف للعرب حينئذ ان بريطانيا غادرة خائفة لا عهد لها ولا وفاء . لكن بعد فوات الاوان ، واستصروا رغم ذلك في الثقة بها ولتتعامل معها .

وفي سنة 1925 تقريبا اعلن اتاتورك عدو الله اسقاط للخلافة والغاء الاسلام . واطن ان تركيا دولة علمانية ، والقي للغة العربية من البلاد التركية . وابعح زواج المسلمة بالنصراني . وسوى بين الذكر والانثى في الميراث . وضع السعر الى الحج منعا بانا . وفي سنة 1937 اجتمعت تمذاذ من اليهود تنضمي الى عصابات لهم اجرامية بقصد اخذ فلسطين وانتزاعها من العرب بالقوة . فتركتها بريطانيا وتخلت عنها . وهي مديونة ان لليهود سينخلعون عليها . وحصل قتال بين العرب وشرازم

اليهود ، وظهر تخاذل للعرب وخيانة كثير منهم ، وكان قتالهم مهزلة ، ومع ذلك ورغم ذلك كانوا يصلون الى تل ابيب ، ولكن بريطانيا الصهيونية اقترحت الهدنة ، فوافق العرب ، لانهم يحبون بريطانيا وينفخون ما تقول لهم ، وكانت الهدنة سهيلا الى استيلاء اليهود على فلسطين ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الاخيرة ، اعترفت الامم المتحدة بهم دولة في فلسطين ، وبعد الاعتراف بهم سمووا انفسهم دولة اسرائيل ،

هذا عرض موجز لحركة ، اليهود وحربهم في سبيل الاستيلاء على فلسطين ، يعلم منه ان العرب انما قاتلوا عصابات من اليهود لا كيان لهم ولا دولة ولا وطن ، وهم الذين هاجموا العرب ، وجاسوا خلال الديار في فلسطين العربية ، بغية اخذها من اصحابها الشرعيين .
متفسير الآية بهم كما فعل المعاصرون ، مبني على غير اساس . نعم ان الآية الكريمة ، تكلمت على بني اسرائيل ، وهؤلاء الشراذم سمووا انفسهم اسرائيل .
متفسير الآية بهم باطل شكلا وموضوعا .

وبالله التوفيق

